العدد(1400) السنة السادسة - الثلاثاء (30) كانون الاول 2008 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

مخرج لحماس

الأهرام

١٢/٢٨

عبدالعظيم حماد

تكتب هذه السطور على أصوات القصف الإسرائيلي لغزة صباح أمس، ولم أكن أستطيع، أو يستطيع غيري من الذين لا يعلمون بواطن الأمور التنبؤ بما ستتطور الى ه هذه العملية الإسرائيلية، بالغة الشراسة والعدوانية، وهل هذه هي النهاية العسكرية لحكومة حماس التي أنذرت بها تسيبي ليفني وزيرة الخارجية الإسرائيلية أم لا؟

لكني قبل بدء العدوان كنت أفكر في توجيه نصيحة لزعماء حماس سبق أن وجهها من قبل كثيرون، منهم كاتب هذه السطور، وقد استشهدت في المرة السابقة بمثل شهير في التاريخ السياسي المصري، وهو قبول الزعيم الوطني الكبير سعد زغلول التنازل عن حقه وهو زعيم الأمة المنتخب، وزعيم حزب الأغلبية في رئاسة الحكومة، وفي أن تكون الحكومة وفدية أي من حزبه الفائز بالأغلبية في انتخابات حرة، وذلك من أجل المصلحة الوطنية العليا، كما قدرها في سنة ١٩٢٤ زعماء التيارات المختلفة في الحركة الوطنية المصرية، بما في ذلك زعماء حزب الوفد أنفسهم.

وكان الموقف السياسي في مصر في ذلك الوقت يشبه من نواح كثيرة الموقف في فلسطين، إذ رفضت سلطة الاحتلال البريطاني وقتها التعامل مع أية حكومة يرأسها سعد زغلول، بوصفه زعيم المتطرفين في رأي هذه السلطة، وذلك استغلالا لحادث مقتل السردار الانجليزي للجيش المصري كما يعرف المهتمون بالتاريخ السياسي لمصر.

ولما كان مسلما به من جميع القوى الوطنية المصرية وقتذاك، أن نيل الاستقلال لن يتحقق إلا بالتفاوض مع سلطة الاحتلال، استنادا الى سلاح الرفض الشعبي وتراث ثورة١٩١٩، فقد كان تنازل سعد زغلول يعني تسهيل هذه المهمة، وفي الوقت نفسه فقد كان مفهوما أن من سيقومون بالتفاوض سيوظفون رقابةزغلول علىهم في انتزاع أفضل الشروط على مائدة المفاوضات.

إن الدرس الذي قدمته الحركة الوطنية المصرية في هذه التجربة هو أن الوطن قبل التنظيم، وأن التنظيم قبل الزعيم، ولكن يبدو أن زعماء حماس لا تدخل مثل هذه الأمثلة قلوبهم أو عقولهم، وربما أنهم يعتقدون أن مرجعيتهم الإسلامية تشفع لهم في رفض اتخاذ العلمانيين من أمثال سعد زغلول قدوة لهم، لذا أفكر في مثل من قلب هذه المرجعية الإسلامية لعل زعماء حماس يقيسون علىه، ويرون أن تنازلهم عن السلطة، أو العودة الى الحوار لإعادة بناء الوحدة الوطنية الفلسطينية لا يتعارض مطلقا مع السلوك الإسلامي الصحيح، بل ربما كان أكثر اتساقا مع المثل العلىا الإسلامية، والمثل الذي نعنيه هنا هو تنازل الإمام الحسن بن على عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، بعد مقتل الإمام على نفسه، فيما يعرف في التاريخ السياسي الإسلامي باسم عام الجماعة الأول، فلقد اكتشف الحسن بعد أن بويع بالخلافة أن المعطيات أمامه لا تكفي لهزيمة جيوش معاوية، خصوصا بعد أن نهب بعض أنصاره معسكره، وتذكر خذلان بعض هؤلاء الأنصار لأبيه، وقاده هذا الاكتشاف الى أن إصراره على مواصلة الصراع لن يعني سوى شئ واحد هو بقاء الأمة مقسمة، ففضل إعادة توحيد الجماعة تحت قيادة معاوية على التشبث بالسلطة أو بقسم منها على قسم من البلاد والعباد، وكما هو معروف فالحسن لم يتنازل دون قيد أو شرط، ولكنه اشترط أن يعود الأمر شورى بين المسلمين بعد وفاة معاوية، وبرغم أن هذا لم يحدث لأنه، أي الحسن، كان قد توفي قبل معاوية الذي اغتنم الفرصة وتحلل من هذا الشرط، فإن الدرس واضح، والمخرج الشرعي لتنازل حماس عن التشبث بالسلطة في غزة برغم رفض العصر لها أوضح، ومن الممكن، بل من الواجب أن تضع حماس من الشروط على فتح، وعلى الرئيس أبومازن ما يحفظ لها حقها في رفض أو قبول أي اتفاق ينتوصل الى ه مع إسرائيل، وعند الاختلاف يلجأ الى الاستفتاء الشعبي العام.

لاشك أنه ليس من اللائق القسوة على حركة حماس، وهي تتعرض لما تتعرض له حالى ا من عدوان من إسرائيل، ولكن الحق أحق أن يتبع، فقد تبين بوضوح أن الحركة لا تملك ستراتيجية لتحقيق برنامجها السياسي، وأن الشركاء الإقليميين والدوليين لا يريدون اتخاذها شريكا، وتبين أنها غير قادرة على التوفيق بين برنامجها وبين الأساس القانوني الذي جاءت علىه الى الحكم، ذلك أن الانتخابات التي أتت بها الى السلطة أجريت على أساس الاتفاقيات الموقعة بين السلطة الوطنية الفلسطينية، وبين إسرائيل، وكان معني دخول حماس الانتخابات هو التزامها بهذه الاتفاقات نصا وروحا، إلا أن هذا لم يحدث، وليس معنى ذلك أن إسرائيل مثل أعلى أو حتى مثل أدني في الالتزام بالاتفاقات، ولكننا لا نتحدث هنا عن إسرائيل، وانما نتحدث عن المصلحة الوطنية الفلسطينية.

إن حالة حماس في أحسن الأحوال هي حالة من طلب الحق فأخطأه، وصحيح أنه بحكم المرجعية الإسلامية التي تلتزم بها حماس فإن من طلب الحق فأخطأه، ليس كمن طلب الباطل فأدركه، حسب وصية الإمام على بن أبي طالب، ولكن ما الرأي في حركة أدمنت إخطاء الحق الذي تطلبه؟ ألا يكفي ما مر من سنوات، وما ضاع من دماء؟ لتجربة طريق آخر؟

بالطبع قد لا يكون الى وم أو غدا مناسبا لتوقع مبادرة من حماس، للعودة الى الحوار الوطني المؤدي الى استعادة الوحدة، فليس متوقعا أو مطلوبا أن يأتي ذلك تحت القصف الإسرائيلي، ولكن المخرج هو أن يقدم زعماء الحركة ما يكفي من الضمانات لمصر تحديدا للوصول الى هذه الغاية، ولكن بعد وقف العدوان الإسرائيلي، على أن تكون هذه الضمانات هي مدخل الدبلوماسية المصرية لحملة دولية وإقليمية، تستهدف وقف ذلك العدوان كخطوة أولي في عملية شاملة متعددة المراحل، لإعادة ترتيب البيت الفلسطيني، والانطلاق الى مفاوضات سلام جادة تتوافق مع تولي إدارة جديدة في الولايات المتحدة، وقيام حكومة جديدة في إسرائيل.

النهار

١٢/٢٨

هل يحقّق العدوان الإسرائيلي على غزة أهدافه قبل انعقاد القمة؟

لا مواجهة فعالة مع بقاء الانقسام الفلسطيني والعربي

تواصل الاوساط الرسمية والسياسية والشعبية متابعة تطور العدوان الاسرائيلي على غزة باهتمام وقلق، كونه يثير اسئلة وتساؤلات كثيرة لا جواب علىها قاطعاً حتى الآن، ومن هذه الاسئلة والتساؤلات:

اولاً: هل ينتهي العدوان الاسرائيلي الى ما انتهى الى ه عدوان تموز على لبنان عام ٢٠٠٦، وتحديدا على «حزب الله»، اذ عجز عن القضاء على هذا الحزب وضرب بنيته العسكرية، وقد يعجز عن القضاء على حركة «حماس» في غزة كما يهدد القادة الاسرائيليون ويتوعدون، خصوصا مع اقتراب موعد الانتخابات النيابية التي تكثر فيها المزايدات وتحوّل الصواريخ الفلسطينية على المستوطنات اوراقا انتخابية، وهذا ما جعل بعض المراقبين يعتبرون انه كان من الخطأ استعمال هذه الصواريخ في هذا الظرف بل انتظار مرحلة ما بعد الانتخابات؟

ثانياً: هل ينتهي العدوان الاسرائيلي على غزة باعلان وقف شامل للنار والعودة الى الهدنة التي تستمر الى حين انتهاء مفاوضات السلام على كل المسارات توصلا للاتفاق على الاوضاع في الجولان وفي فلسطين المحتلة وفي مزارع شبعا، لانه قد لا يكون من الحكمة تجزئة هذه المسارات بتقديم مسار على آخر، واذا كان لا بد من ذلك فحل القضية الفلسطينية هو المدخل لحل ازمة الشرق الاوسط وانهاء الصراع العربي-الاسرائيلي؟ثالثاً: هل يكون العدوان الاسرائيلي على غزة شرارة تشعل حربا واسعة في المنطقة قد تغير صورة الوضع او الانظمة فيها وتقيم شرق اوسط جديدا ينعم بالامن والامان والاستقرار وبالعيش المشترك بين جميع الشعوب فيه؟رابعاً: هل يفتح العدوان الاسرائيلي على غزة الباب على مفاوضات سلام شامل ينتهي معها الصراع العربي الاسرائيلي ويقوم هذا السلام على اساس مقررات مؤتمر مدريد، اي: الارض في مقابل السلام، وعلى اساس مقررات قمة بيروت العربية؟

خامساً: هل يؤدي العدوان الاسرائيلي على غزة الى توحيد الصف الفلسطيني وتالى ا توحيد موقف العرب من اسرائيل فتكون قمة الدوحة العربية المقترحة شبيهة باللقاء الوطني اللبناني الذي عقد فيها وتم التوصل الى اتفاق على انتخاب العماد ميشال سليمان رئيسا للجمهورية وتشكيل حكومة وحدة وطنية واعتماد قانون ١٩٦٠ لإجراء الانتخابات النيابية؟ فلو استمر الانقسام اللبناني لما كان امكن التوصل الى هذا الاتفاق. وان الوضع نفسه ينطبق على الفلسطينيين وعلى العرب انفسهم اذ لا يمكن التوصل الى اتفاق ما لم يتم توحيد الصف الفلسطيني من خلال تشكيل حكومة وحدة وطنية تشرف على انتخابات رئاسية ونيابية في فلسطين، وما لم يتوحد الموقف العربي حيال ذلك كما توحد حيال الوضع الذي كان متأزما في لبنان، بحيث لم تبق دول عربية مع ١٤ آذار ودول اخرى مع ٨ آذار، وهو الموقف العربي المطلوب حالى ا بحيث لا تبقى دول مع حركة «فتح» ودول مع حركة «حماس»، اذ لا سبيل للتوصل الى اي حل مع وجود انقسام عربي وانقسام فلسطيني يجعلان غزة ساحة مفتوحة لتصفية الحسابات. كما كان لبنان ساحة مفتوحة للسبب نفسه.

سادساً: هل يبقى العدوان الاسرائيلي على غزة محصورا فيها ام يتوسع اذا ما فتحت جبهة الجنوب اللبناني، ويكون فتحها من دون سواها سببا لعودة انقسام اللبنانيين على نحو اخطر واشد من اي انقسام سابق؟

والسؤال الذي يطرح نفسه اذا ما قررت اسرائيل المضي في عدوانها على غزة الى ان يحقق اهدافه، وهي القضاء على حركة «حماس» وتغيير الواقع على الارض في غزة، هو: ماذا في استطاعة مجلس الامن الدولي ان يفعل سوى الدعوة الى وقف النار تمهيدا للدخول في مفاوضات اسرائيلية فلسطينية؟ وماذا في استطاعة القمة العربية المقترح عقدها في الدوحة ان تفعل خصوصا اذا ظل الانقسام الفلسطيني والانقسام العربي على اشده، وكيف سيواجه لبنان تداعيات هذا العدوان ويبقى في منأى عنها، وما العمل اذا حققت اسرائيل اهداف عدوانها في غزة قبل موعد انعقاد القمة؟

يقول مصدر وزاري ان لبنان الرسمي يواصل الاتصالات والمشاورات مع عدد من الدول الشقيقة والصديقة توصلا الى توحيد الرؤية والموقف حول كيفية مواجهة العدوان الاسرائيلي على غزة لحزب او فئة بل لحكومة الوحدة الوطنية التي تمثل كل الافرقاء، فإما يصير توافق على القرار الواجب اتخاذه او لا يكون توافق، فلا يكون قرار، لان قرار الحرب والسلم يحتاج الى توافق واذا تعذر ذلك فالى موافقة ثلثي عدد اعضاء الحكومة وفقا لأحكام المادة ٦٥ من الدستور، وان استئثار اي حزب او فئة ممثلة في الحكومة بهذا القرار ينهي مبرر وجود هذه الحكومة...

في الدوحة من مراقبة تطور العدوان الاسرائيلي كي يبنى على الشيء مقتضاه، لكن ما يحرص علىه لبنان هذه المرة هو انه لن يذهب وحده الى الحرب كما انه لم يذهب ولا مرة وحده الى السلام مع اسرائيل، فإما يكون الموقف العربي واحدا في مواجهة اسرائيل، ويكون لبنان مع هذا الموقف، وإما لا يكون كذلك، وعندها لن تكون الكلمة في مواجهة العدوان الاسرائيلي على غزة لحزب او فئة بل لحكومة الوحدة الوطنية التي تمثل كل الافرقاء، فإما يصير توافق على القرار الواجب اتخاذه او لا يكون توافق، فلا يكون قرار، لان قرار الحرب والسلم يحتاج الى توافق واذا تعذر ذلك فالى موافقة ثلثي عدد اعضاء الحكومة وفقا لأحكام المادة ٦٥ من الدستور، وان استئثار اي حزب او فئة ممثلة في الحكومة بهذا القرار ينهي مبرر وجود هذه الحكومة...

اميل خوري

السفير

١٢/٢٨

عن غزة باعتبارها فلسطين والعرب

طلال سلمان

.. وفي العيد الخامس والأربعين لانطلاق الثورة الثانية أو الثالثة أو الرابعة بهدف تحرير الأرض، لم تجد فلسطين ما تحتفل به أو تحتفي به إلا مواكب الشهداء في غزة المحاصرة بدمها.

الدم، الدم، الدم.

نغرق في بحيرة هائلة من دمائنا. نفتح عيوننا على الدم المراق ونغلقها على صور الشهداء ومواكبهم التي يتصدرها من سوف يستشهدون غداً داخل شرنقة الحصار الذي يشارك فيه الأخوة. الأعداء، جنباً إلى جنب مع العدو الأصيل والثابت والدائم، الوافد، الغريب، العنصري والمستقوي بخلافاتنا التي تعزز فيه ادعاءه بأنه لا يهزم. نكتب بالدم. نفتح عيوننا على الدم يغطي أرضنا. يطاردنا الدم فلسطينياً (وعراقياً، ولبنانياً من قبل) إلى أسرّة النوم. نسبح في دمائنا بينما تلاحقنا اتهامات الاحتلال السفاح بالإرهاب.

ترتفع اسوار من الدم بين «دولنا»، سرعان ما تصير جدرانا عازلة بين «شعوبنا» المهددة بالإفقار والإذلال والضياع وإضاعة غدها وحقها في الحياة.

مشكلة غزة، الى وم، وقد خبرناها في لبنان بالأمس، مع «أهلها» قبل ان تكون مع أعدائها... «أهلها» داخل فلسطين ذاتها، ثم في الجوار العربي... حتى لقد انحدرت روابط الأخوة إلى «الانفاق» لكي تستمر وتدوم، في تعبير كاريكاتوري عن وحدة المصير، حتى لو اختلفت المواقف. لا تفتح المعابر، إذا فتحت، إلا للخارجين من فلسطين. ممنوع الدخول، مرحب بالرحيل إلى أي مكان. وفي هذه الساعة لا تفتح المعابر إلا للخارجين من الموت الإسرائيلي إلى الموت العربي. الموت هو الطائر الوحيد الذي يجوب الأفق المفتوح لطائرات القتل الإسرائيلي.

في فلسطين الثانية يشهقون بكاء على أخوتهم. يبكون عجزهم عن نجدة أخوتهم المهددين بالإبادة الجماعية. من لم تقتله الأباتشي قتلته الألف ١٦٠ ومن نجا قتله ذلُ العجز عن إطعام أطفاله وعن تأمين أي مستقبل لهم خارج دائرة الموت... الإسرائيلي.

أما في فلسطين الشتات فيكون حسرة: ليتنا كنا معكم!

وأما العرب فيتفرجون. تبكي النساء. يشهق الأطفال بالدمع. يدير الرجال وجوههم حتى لا يرى أطفالهم دموعهم. لا يملكون ان يبدلوا هذا الوضع المذل، طالما استمر حكامهم هم حكامهم، وحكام حكامهم هم هم اصحاب الأمر والنهي.

نلتفت إلى عدونا فنراه موحداً. ونراه خلال حربه علىنا يحظى بتأييد العالم، بدوله الكبرى ومجلس الأمن، وصولاً إلى العديد من الأعضاء المؤسسين لجامعة الدول العربية، التي لم تعد تجمع، بل يراد لها ان تصبح أداة للتفريق الشرعي بين دولها التي تتجرع المهانة كل يوم.

بهتت الأسماء. باخت الألقاب. تهاوت المناصب الكرتونية في طوفان الدم الفلسطيني الذي غطى عيون العالم، والذي وجد بين الدول البعيدة من يستهول إراقته، أكثر مما وجد بين المسؤولين العرب، الذين تصدى من بينهم من يبرر العدوان... بل ويتهم الضحايا بأنهم المتسببون، به والمسؤولون عنه، لأنهم لم يسكتوا عن إذلالهم بحصار الجوع والعطش والحاجة إلى الدواء والمشفى والطبيب... ناهيك بكرامة الانسان!

فوق إسرائيل مظلة دولية تحميها. فوق إسرائيل مظلة عربية تحميها... أما غزة فمكشوفة، منبسطة كراحة الكف، يستطيع الطيار ان يختار أهدافه وفق مزاجه، من يفضل المجازر الجماعية أمامه المدارس ومقار الشرطة والمساجد والدكاكين التي يحتشد أمامها جمهور لا يجد فيها ما يقيه غائلة الجوع... ومن يحب التفرد يختار من شاء ممن تعتبرهم إسرائيل «قادة خطرين» فيصطاده، إذ انه حر الحركة يملك الجو والأرض والبحر وما بينهما. في إسرائيل يتوحد «الشعب» المجمع من أربع رياح الأرض، بلا رابطة غير الإطار الديني المسيس حتى يصير عقيدة، ويصير دولة يحرسها العالم كله بشرقه وغربه. ثم يعلنها الرئيس الأميركي وفي حضور الرسميين العرب جميعاً دولة لليهود. أما في فلسطين، فقد حاسبنا «فتح» طويلاً لأنها نبتت من صلب «الاخوان المسلمين». وليس إلا بعد دهر حتى قبلنا إسلامها بوصفه منطلقاً إيمانياً لحركة تحرير. وها نحن نحاسب «حماس» على إسلامها، ونصدع لأوامر الدولة الدينية في إسرائيل ونبرر لها مرتكزها العقائدي الديني بوصفه شرط حياة، بينما نرفض القاعدة ذاتها لمن يواجهها. ها هم العرب جميعاً، بدولهم التي ليست دولاً، وتنظيماتهم الرسمية التي ليست أحزاباً، تشارك في إدانة «حماس» بعد تقريعها: لقد نبهناك، لن تستطيعي توريطنا بإسقاط مبادرة السلام وحوار الأديان ومهرجان أنابوليس وتمزيق خريطة الطريق والاستغناء عن خدمات الرباعية، انقلب العجز الحقيقي الذي كان ستارة تغطي التواطؤ إلى «تحالف استراتيجي» علني مع إسرائيل: وها هي غزة جبهة كونية تلاقى على قتال أهلها معظم دول العالم، تتصدرها بعض الدول العربية، فتبرر الحرب الإسرائيلية وتدين كل من يتصدى ولو بصدره العاري لنيرانها الحارقة.

لقد تعذر على إسرائيل أن تغرق غزة في البحر، فأغرقتها بدماء أهلها.

وتعذر على السلطات في مصر أن تتبرأ من علاقتها التاريخية بغزة، حدوداً وصلات نسب وارتباطات حياة ومسؤولية مباشرة عن سلامة أهلها فأدانتها بإسقاط «تهدئة الجوع والذل» وتركت لإسرائيل ان تؤدبها. نزع العرب عن غزة كونها بعض فلسطين. صارت السلطة هوية. نُزعت عنها عروبتها. صارت نبتاً شيطانياً يستحق اللعنة والتأديب. واختار المثقفون العرب لخطة الإبادة الجماعية التي تتولاها إسرائيل، براً وبحراً وجواً، لمساءلة «حماس» عن أيديولوجيتها، وإدانة مقاتليها قبل استشهادهم وبعد الاستشهاد، نسي الجميع إن الانقسام الفلسطيني هو بعض الثمار المرة للتخلي العربي، نسي الجميع أن الإسرائيليين قد توحدوا، من فوق انقاسمهم السياسي، وهم يشنون حربهم على غزة، بتغطية عربية كاملة تسهل لهم انتصاراً مدوياً قد يغطي بعض الجراح الثخينة لهزيمتهم في الحرب على لبنان في تموز ٢٠٠٦، نتيجة صمود مقاومته المجيدة وسط الاحتضان الشعبي العام. وليس تجنياً القول إن حجم الدعم العربي المقدم الآن لإسرائيل في غزة يفوق ما قُدم لها خلال حرب تموز على لبنان. إن شعب فلسطين في غزة يقتل أمام عيوننا جميعاً. لقد قصف الطيران الإسرائيلي حتى «السجن»... ومن أسف ان العصبية الحزبية قد تركت في السجن رفاق سلاح لمحازبي «حماس».

القتلى في الطرقات. وليس من زقاق في غزة إلا فيه جنازة أو أكثر، لكن الكل يعرفون (وإسرائيل تعرف) ان ليس من خيار آخر أمام الفلسطيني، حيثما وجد، إلا المقاومة. ويعرف الفلسطينيون (ومعهم سائر العرب) ان الصراع مع العدو الإسرائيلي مركب ومعقد، ومكلف في الدماء وفي الاقتصاد وفي الاستقرار وفي الحلم بمستقبل أفضل، لكنه صراع حتمي، لا مفر من خوضه ومن الانتصار فيه. وأول الطريق استعادة الوحدة الفلسطينية، بأي ثمن. والوحدة ضمانة ضد الانحراف والتخاذل والمفاوضات المفتوحة على الفراغ. والوحدة هي التي تنهي «التواطؤ» الذي تتهم به العديد من الدول العربية. وقدر الفلسطينيين ان يستعيدوا وحدتهم، ومن بعدُ وطنهم، بدمائهم... وقد برهنوا أنهم أسخياء بها.

الأنباء

١٢/٢٨

وقفة مع العقل رغم هول المجزرة

طلال عوكل

ثمة حكمة أفرزتها التجربة الطويلة من الصراع مع الاحتلال الاسرائيلي، تخطئها احيانا الحسابات السياسية الضعيفة الخبرة، الحكمة تقول «خاسر كل من يراهن ولو بالحدود الدنيا على أن اسرائيل يمكن ان تعمل لحظة واحدة وفق اجندة غيرها او لمصلحة غيرها بما في ذلك حليفتها القوية الولايات المتحدة الاميركية».

لا من يفاوض الفلسطينيين ولا من يقاومهم، يمكن ان تبنى حساباته السياسية، او مراهناته على أن اسرائيل يمكن ان تفكر للحظة واحدة، بتحقيق مصلحة لصالح الشعب الفلسطيني الذي ارادوا محوه وإذابته وإلغاءه عن الوجود وحين لم تفلح تنكرت لكل حقوقه ومصالحه، حتى حين تقررها الامم المتحدة او اية دولة قوية كانت ام ضعيفة، وبصرف النظر عن مدى قربها او بعدها عن اسرائيل.

لقد تأخرت اسرائيل في التعامل القاسي والحاسم مع الحالة التي نشأت في قطاع غزة، وكان ولا يزال الاعتقاد، بأن اسرائيل صاحبة مصلحة حقيقية في ابقاء حالة الانقسام، بل وتعميق هذه الحالة وتحويلها الى انفصال تام وبالتالى التملص من كل مسؤولياتها كدولة احتلال عن سكان القطاع في كل ما يحتاجونه وعلى مختلف المستويات الحقوقية والقانونية والسياسية والانسانية.

ومنذ البداية طرحنا السؤال: اذا كانت اسرائيل صاحبة مصلحة في ابقاء وتعميق الانقسام الفلسطيني بما يخدم مخططاتها التي تنسف كل اساس لأية مبادرة سلمية، فهل ستكون مضطرة، لقبول هذا الانقسام مع وجود حماس قوية وتراكم المزيد من القوة في قطاع غزة، ووجود فتح قوية وتراكم المزيد من القوة في الضفة الغربية.

على كل حال لم يكن ما مضى من وقت منذ ان سيطرت حركة حماس على قطاع غزة، دون حسابات اسرائيلية ارادت تكريس واقع الانقسام، وبالتدريج قطع كل علاقاتها مع سكان القطاع عبر حصار مشدد، حتى تصبح عملية انفصال قطاع غزة حقيقة واقعة مسلماً بها.

لقد راقبت اسرائيل كل محاولات تعزيز قوة حماس، ولكنها في الوقت ذاته اقنعت المجتمع الدولي عملياً بضرورة التسليم بواقع الحصار الى ان توقف العالم عن مطالبة اسرائيل برفع او تخفيف الحصار حتى حين صرخت المؤسسات الدولية وتوقفت عن القيام بواجبات تعودت القيام بها لعقود طويلة.

على ان اسرائيل التي تراقب الوضع عن كثب، قد اصبحت في وضع يمكنها من التصرف مع قطاع غزة على اعتبار انه كيان معاد، وباعتبار انها ليست مسؤولة عنه بأي حال من الاحوال، وبعد ان غضت الطرف عن اتساع شبكة الانفاق بين مصر وقطاع غزة، لتشكل الشريان الوحيد لتزويد سكان القطاع بما يحتاجونه، اي ان اسرائيل دفعت الازمة الناجمة عن تنصلها من المسؤولية عن قطاع غزة نحو مصر، فأصبح المطلب الاساسي لأهل القطاع فتح معبر رفح، فيما تتراجع الحملة لمطالبة اسرائيل بفتح المعابر المسؤولة عنها بينها وبين القطاع.

بعد ان جرى تكريس هذه الوقائع، وتمكنت اسرائيل اكثر من التحكم بمصير الفلسطينيين، ونحو تعميق انقسامهم، اصبح من مصلحة اسرائيل معالجة امر قوة حماس المتزايدة، باتجاه اضعافها، وبعد ان استثمرت الوقت السابق، لإضعاف وإفشال السلطة الفلسطينية في الضفة.

اما التوقيت فقد فرضته حاجة احزاب الائتلاف الاسرائيلي الحاكم لاستخدام الدم الفلسطيني في ميدان المزايدات الانتخابية، وبغرض تحسين مواقفها المتردية، ولأن صوت المعارضة الى مينية التي يتزعمها بنيامين نتنياهو كان اكثر علواً، وأكثر تشدداً وتطرفاً، ولو نظرياً وسياسياً ضد الفلسطينيين ومن يسمونهم في اسرائيل الارهابيين، فإن اطراف الائتلاف الاسرائيلي تعمدت ان يطغي سلوكها المتطرف على تطرف الى مين حتى تترك انطباعات قوية لدى الناخب الاسرائيلي الذي يتميز اغلبه بالتطرف. ولقد لاحظنا ان جميع الاحزاب الاسرائيلية بما في ذلك ميرتس التي توصف بالاعتدال وتأييد السلام، قد اتفقت مع السياسة المتطرفة جداً التي مارستها اسرائيل بحق سكان قطاع غزة.

ما جرى اول من امس في قطاع غزة، يشكل مجزرة، غير مسبوقة، فلقد سقط خلال الدقائق الخمس الاولى للقصف الجوي المتزامن اكثر من مئة شهيد وأكثر منهم جرحى، فيما استمر القصف الجوي الاسرائيلي ليطال خلال اربع وعشرين ساعة اكثر من مئتين وثلاثين هدفاً. اوضاع القطاع صعبة الى حدود لا توصف، سواء على المستوى الانساني، او على مستوى النتائج التي ترتبت عن عدوان وحشي، لا يزال في بداياته كما يقول وزير الدفاع الاسرائيلي ايهود بارك.

ازاء هذا علىنا ان نلاحظ بأن الجماهير الفلسطينية والفصائل حتى في الضفة الغربية، قد خرجت عن بكرة ابيها، وقامت بالاشتباك مع قوات الاحتلال والتعبير عن رفضها للمجزرة، متجاوزة بذلك حدود الخلاف والانقسام السياسي.

هذا مؤشر على ان الدم الفلسطيني لا يهون على الفلسطيني، وبأن الجماهير الفلسطينية تتوق لعودة الحوار وإنهاء الانقسام، باعتباره سبباً لضعف الموقف والوضع الفلسطيني، وأيضاً يشكل مبرراً قوياً لاسرائيل لكي تبطش بالشعب الفلسطيني وتعمل على اضعاف كل قواه.

ازاء هذا الوضع يتطلع الفلسطينيون بقدر من التشاؤم خلفته التجارب السابقة الى الوضع العربي الذي لم يشهد تحركاً شعبياً قوياً بمستوى خطورة الوضع، فيما لم يعد المواطن الفلسطيني يراهن على توفر ارادة عربية قوية قادرة على وقف العدوان.

ان العرب الرسميين منقسمون على الوضع الفلسطيني، كما هو حال الانقسام الفلسطيني ولذلك يخشى من ان يؤدي هذا الخلاف بين الجامعة العربية الى ضعف الموقف الذي يمكن ان يصدر عن القمة العربية التي ستنعقد في الدوحة يوم الجمعة المقبل.

على كل حال الوضع الدولي يتواطأ مع ما تقوم به اسرائيل التي حضرت لعدوانها البشع، عبر حملة علاقات عامة، فالدعوات لم تغادر منطق مناشدة اسرائيل والفلسطينيين وقف اطلاق النار وكأن الامر يتصل بقوى متوازنة، الموقف الاميركي كان كالعادة الاسوأ على الاطلاق فلقد ادانت وزيرة الخارجية الاميركية كوندوليزا رايس القصف الذي تمارسه حماس في غزة ضد اسرائيل دون ان تسجل على اسرائيل اي نقد.

وبصرف النظر عن ردود الافعال العربية والدولية التي لن تنجح في وقف العدوان الاسرائيلي، فإن رهان المواطن الفلسطيني يتجه نحو ان يكون هذا العدوان دافعاً باتجاه استعادة الحوار وإنهاء الانقسام، وإلا فإن الاوضاع الفلسطينية وأيضاً القضية الفلسطينية ستتعرض للمزيد من المخاطر والتبديد.